مجلـــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليـــّـــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: الثاني والسبعون

السنة: الثامنة والأَربعون

الموصـــــــل

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الهيئة الاستشارية

- أ.د. وفاء عبد اللطيف عبد العالي – جامعة الموصل/ العراق (اللغة الإنكليزية)
- أ.د. جمعة حسين محمد البياتي – جامعة كركوك / العراق (اللغة العربية)
- أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي – جامعة بابل/ العراق (تاريخ وحضارة)
- أ.د.حميد غافل الهاشمي – الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية/ لندن (علم الاجتماع)
- أ.د. رحاب فائز أحمد سيد – جامعة بني سويف / مصر (المعلومات والمكتبات)
- أ. خالد سالم إسماعيل – جامعة الموصل/ العراق (لغات عراقية قديمة)
- أ.م.د. علاء الدين احمد الغرايبة – جامعة الزيتونة/ الأردن (اللسانيات)
- أ.م.د. مصطفى علي دويدار – جامعة طيبة/ السعودية (التاريخ الإسلامي)
- أ.م.د. رقية بنت عبد الله بو سنان – جامعة الأمير عبدالقادر/ الجزائر (علوم الإعلام)

الأفكار الواردة في المجلة جميعاً تعبِّر عن آراء كاتبيها، ولا تعبِّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: الثاني والسبعون — السنة: الثامنة والأربعون

رئيس التحـــرير

أ.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

سكرتير التحرير

أ.م.د.بشار أكرم جميل

هيئة التحرير

أ.د.محمود صالح إسماعيل	أ.د.عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن
أ.د.مؤيد عباس عبد الحسن	أ.د.علي أحمد خضر المعـــماري
أ.م.د.سلطان جبر سلطان	أ.م.د. أحمد إبراهيم خضر اللهيبي
أ.م.د. زياد كمال مصطفى	أ.م. قتيبة شهاب احمد

المتابعة والتقويم اللغوي

م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	– مدير متابعة هيئة التحرير
أ.م.أسامة حميد إبراهيم	– مقوّم لغوي/ لغة الإنكليزية
م.د. خالد حازم عيدان	– مقوّم لغوي/ لغة عربية
م. مترجم.إيمان جرجيس أَميـــــن	– إدارة المتابعـــــــة
م. مترجم.نجلاء أَحمد حســـين	– إدارة المتابعـــــــة
م.مبرمج. أحمد إحسان عبدالغني	– مسؤول النشر الإلكتروني

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة.

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــــات

العنـوان	الصفحة
الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية قصة قارون مثالاً أ.م.د. عبد الستار فاضل خضر	١ - ١٨
الحداثة وتجليات سلطة القراءة للنص القرآني أ.م.د. فارس عبدالله بدر الرحاوي	١٩ - ٤٦
الملامح الصوتية عند سيد قطب دراسة تحليلية أ.م.د.فيصل مرعي الطائي	٤٧ - ٦٨
صورة الممدوح في شعر مسلم بن الوليد المعروف (بصريع الغواني) أ.د.غانم سعيد حسن الطائي و م.د. علي غانم سعدالله	٦٩ - ٨٤
الفروق الدلالية بين المتفق خطاً والمختلف لفظاً ومعنىً من المقصور والممدود والمقصور والمهموز أ.م.د. أحمد ابراهيم خضر و م.د.إيناس وليد أسعد	٨٥ - ١٠٤
بعض الظواهر الصوتية وأثرها في تحديد أحرف الجذور اللغوية المعتلة مقاييس اللغة لابن فارس أنموذجًا أ.م.د. عزّة عدنان أحمد عزّت و الباحثة غيداء عادل عبد القادر	١٠٥ - ١٣٠
سيرة محمد بن مصطفى التِّيره وي وكتابه : (روح الشروح) مع تحقيق قطعة من مقدِّمته أ.م.د. معن يحيى محمد العبادي و م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	١٣١ - ١٥٦
المساءلة الحجاجية في الشعر العربي نماذج مختارة م.د. عبدالله بيرم يونس	١٥٧ - ١٨٢
مما صحّحه القاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ) من مسائل دلالية في كتابه (درة الغواص في اوهام الخواص) م.د.أ حمد مرعي حسن العباس	١٨٣-٢٠٨
الفُروق التعبيرية في الحوار بين الرُسُل وأقوامِهِم في القرآن الكريم - سورة الأعراف أنموذجاً – م.د. أحمد عامر سلطان الدليمي	٢٠٩-٢٣٢
أثر الصوت اللغوي في التواصل دراسة في يائية مالك بن الريب م.د.إدريس سليمان مصطفى و م.د. مسعود سليمان مصطفى	٢٣٣-٢٥٨
البعد الدلالي للبناء للمعلوم والبناء للمجهول في القراءات القرآنية - سورة الأَنعام نموذجًا م.م. هلات حسن جرجيس	٢٥٩-٢٩٨
الاصلاحات الاقتصادية في دولة المغول الايلخانية في بلاد ايران والعراق على عهد السلطان محمود غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ/ ١٢٩٤-١٣٠٣م) م.د. مصطفى هاشم عبد العزيز الحنون	٢٩٩-٣٢٠

سرايا وبعوث الرسول][rفي كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الشامي المتوفى ٩٤٢هـ/ ١٥٣٦م دراسة في مصادره م.د. هناء سالم ضايع	٣٢١ - ٣٤٠
المرابطون والموحدون دراسة في عناصر الوحدة والتنوع الاداري والاقتصادي م.د سالمة محمود محمد عبد القادر	٣٤١ - ٣٧٦
عطاء النساء في عصر الراشدين – قراءة تاريخية تحليلية- م.م. محمد نجمان ياسين عباس	٣٧٧ - ٣٩٤
ثقافة حقوق الإنسان في ظل الظروف العربية الراهنة الواقع والطموح ا.م.د حمدان رمضان محمد و م.د محمد سعيد حسين	٣٩٥- ٤٣٨
الصناعات الصغيرة والمتوسطة ودورها في الحد من البطالة دراسة اجتماعية تحليلية م.د.هاني احمد العبادي	٤٣٩ – 458
الانعكاسات الاقتصادية للترفيه على الأسرة الموصلية دراسة ميدانية في مدينة الموصل م. أميرة وحيد خطاب	٤٥٩ – ٤٨٦
الرسائل الجامعية الممنوحة في الجامعات العراقية في مجال المعلومات والمكتبات: دراسة ببليومترية ١٩٨٨-٢٠١٢ أ.م.سعد احمد إسماعيل و م.م.حسام عبدالكريم عبدالله البدراني	٤٨٧ – ٥١٢
متاجر الكتب العربية على الانترنت نشأتها، محتوياتها، خدماتها، امن معلوماتها أ.م. سمية يونس سعيد الخفاف و م.باحث عبد القادر احمد علي	٥١٣ – ٥٥٤
تجربة الفهرس العربي الموحد في المكتبة المركزية لجامعة الموصل م. رفل نزار الخيرو و م.م. رواء صلاح الدين زيادة	٥٥٥ – ٥٨٤
تحليل الاستشهادات المرجعية لرسائل الماجستير لقسم الإحصاء في جامعة الموصل للعام (١٩٨٨-٢٠٠٩) م. وسن سامي سعدالله	٥٨٥ – ٦١٦
الحوسبة السحابية ومدى أهميتها للمكتبات ومراكز المعلومات م.م. نور فارس العمري و م.م. عمر توفيق عبد القادر	٦١٧ – ٦٤٨
المظلات الملكية الآشورية في ضوء المشاهد النحتية م.م. ليال خليل إسماعيل	٦٤٩ – ٦٦٦
مفهوم البيئة في المجتمعات المدنية على ضوء الفقه الإسلامي دراسة تحليلية أ.م.د. ميكائيل رشيد علي الزيباري	٦٦٧ – ٦٩٤

المرابطون والموحدون

دراسة في عناصر الوحدة والتنوع الاداري والاقتصادي

م.د سالمة محمود محمد عبد القادر *

تأريخ التقديم: ٢٠١٧/١٢/١١ تأريخ القبول: ٢٠١٨/١/٢٤

مدخل:

اولت الدراسات التاريخية عناية فائقة بدراسة التاريخ السياسي للدول والامارات الاسلامية التي قامت في البلاد الاسلامية، غير أن دراسة المعطيات الحضارية لهذه الدول والامارات ، وبيان عناصر الوحدة والتنوع (التعدد) بينها ماتزال بحاجة الى المزيد من جهود الباحثين لإظهار الجهد الحضاري التي شاركت فيه هذه الدول والامارات في بناء الحضارة الاسلامية ومن ثم الحضارة العالمية والانسانية بصورة عامة.

ومن هذا المنطلق تناولت هذه الدراسة الوحدة والتنوع في الاوضاع الادارية والاقتصادية لدولتي المرابطين والموحدين، وكانت الدولة المرابطية قد حكمت بين سنتي (٤٤٨هـ/٥٤١هـ) (١٠٥٦م/١١٤٦م) أي دامت نحو(٩٣سنة)، بينما حكمت الدولة الموحدية بين سنتي (٥٤١هـ/ ٦٦٨ هـ) (١١٤٦م /١٢٦٩م) بما يقارب من(١٢٧ سنة).

ويسعى البحث للكشف عن ابعاد التأثير الاسلامي في المقومات الحضارية وما انجزته العقول الاسلامية في دولتهم التي شيدت حضارة رائعة ما زال تأثيرها حيويا في الحضارة العالمية، ان الوحدة والتنوع من ميزات حضارتنا الاسلامية ومن اسباب تقدمها وازدهارها، ومن دوافع استمرارية بقائها لقرون طويلة، وتسعى هذه الدراسة لإظهار تلك العناصر عن طريق البحث التاريخي التحليلي، والكشف عن الاسباب والنتائج باعتماد رؤية شمولية ذات توجه حضاري تكاملي في دراسة نظم الدولتين مع تقديم نبذه موجزة عن كيفية قيام الدولتين واسباب انهيارها.

* معهد إعداد المعلمين / نينوى .

ونحن نبحث في عناصر الوحدة والتنوع بين المرابطين والموحدين بإمكاننا ملاحظة اوجه التشابه التي تجمع بين هاتين الدولتين والتي تفوق كثيرا اوجه الخلاف والتناقض بينهما، لتعطي كل منهما صفاتها وخصائصها، ان المرابطين والموحدين ينتمي كلاهما الى القبائل البربرية التي سادت في المغرب العربي وحكمته، فأصل المرابطين يعود الى قبائل لمتونة وكدالة ومسّوفة ، بينما ينتمي الموحدون الى قبائل هرغة ومصمودة وهنتانة وكومية .

ومن ناحية نشأة كلتا الدولتين يلاحظ انها ظروف متشابهة كأنها صنعت بقالب واحد، فالدولتان قامتا على اساس ديني وعلى يد داعية وفقيه، فالدولة المرابطية قامت على يد الفقيه عبد الله بن ياسين ، وكان المهدي محمد بن تومرت داعية الدولة الموحدية ، ثم تحولت كلتا الدولتين الى ملك سياسي على يد القادة الاقوياء، فكان عند الدولة المرابطية الامير يوسف بن تاشفين، بينما برز عند الموحدين الخليفة عبد المؤمن بن علي، اللذان وضعا اسس دولتيهما، الا أن الدولة الموحدية استطاعت أن تقضي على الدولة المرابطية وفرضت سيطرتها على كامل الاراضي التي كانت خاضعة لنفوذها سواء بالمغرب أو الأندلس، وبهذا تتشابه الدولتان بمسألة النشأة والقيام وحكم المساحة الجغرافية نفسها .

ومن عناصر الوحدة بين الدولتين بالنسبة للأندلس هو الجهاد والدفاع عن الأندلس ضد الممالك الاسبانية الشمالية النصرانية، وكان المرابطون متمتعين بروح الجهاد العالية التي احرزوا عبرها انتصاراتهم في معارك الزلاقة [1]سنة (٤٧٩ هـ /١٠٨٦م) وفي اقليش سنة (٥٠١هـ/ ١١٠٨م)، وفي إفراغة سنة (٥٢٨هـ/١١٣٤م)، وهكذا حمى المرابطون الأندلس حتى اواخر عصرهم، والذي دام في الأندلس زهاء خمسين سنة فحفظوها ولم يفت في عضد جهادهم وكفاحهم ضد النصارى سوى قيام الثورة عليهم في مختلف المناطق، وبخاصة بعد ظهور الموحدين وعبورهم الى الأندلـس.

(١) في هذه المعركة التقت جيوش المسلمين المتحدة بقيادة يوسف بن تاشفين أمير المرابطين في المغرب ـ بعد أن التمس منه المساعدة زعماء الطوائف في الاندلس ،بزعامة أبي القاسم المعتمد بن عباد ـ بالجيوش النصرانية بقيادة الفونسو السادس ـ زعيم اسبانيا النصرانية ـ في سهول الزلاقة .عنان ،محمد عبد الله: نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ،ط٢،مطبعة مصر ،(القاهرة،١٩٥٨م) ،ص١٤.

اما الموحدون فبالرغم من أنهم ساروا على خطى المرابطين في الجهاد ضد نصارى إسبانيا، الا انهم لم يحققوا انتصارات مثلهم مع انهم بذلوا جهدا عظيما في حركة جهادهم بالأندلس ودفعوا عدوان النصارى عنها ،غير ان بعض حملاتهم باءت بالفشل، منها حملة الخليفة ابي يعقوب يوسف ضد القشتاليين تحت أسوار مدينة وبذة (٥٦٧هـ/١١٧٢م)،وتحطمت حملته الثانية ضد البرتغاليين تحت أسوار مدينة شنترين (٥٨٠هـ /١١٨٤م) وهزمت فيها الجيوش الموحدية هزيمة فادحة هلك فيها الخليفة نفسه، الى أن برزت قوة الجيش الموحدي في معركة الارك الخالدة التي انتصر فيها الخليفة يعقوب المنصور انتصارا باهرا على القشتالين سنة (٥٩١هـ/١١٩٥م)، غير أن النصر هذا لم يدم طويلا، اذ تلاشت نتائجه بموقعة العقاب التي هزم فيها القشتاليون الجيش الموحدي بقيادة الخليفة محمد الناصر ولد المنصور وذلك سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) والتي مثلت القشة التي قصمت ظهر البعير، فقد أدت الى انهيار سلطان الموحدين بالأندلس فأخذت قواعد الاندلس الكبرى بالانهيار وسقطت في أيدي النصارى سقوطا مؤثرا ومؤلما وكانت السبب في سقوط دولة الموحدين نهائيا .

ومن استقراء تاريخ الدولتين المرابطية والموحدية، يلحظ مدى التشابه في مسيرتيهما التاريخية ومنجزاتهما الحضارية ومساحتيهما الجغرافية التي امتد فيها نفوذ كل منها.

المبحث الاول
عناصر الوحدة والتنوع الاداري بين المرابطين والموحدين

_ أولاً: مفهوم الحكم عند المرابطين والموحدين:

لو تتبعنا النظام الاداري عند كل من المرابطين والموحدين لرأينا كيف بدأ النظامان دعوتهما على اساس ديني محض، ولكن باختلاف كبير بين الدولتين ، ذلك ان الاساس للدعوة الدينية التي قامت عليها الدولة المرابطية كان على اساس العقيدة الدينية والجهاد في سبيل نشرها، بينما الدولة الموحدية _وهنا يكمن الاختلاف بين الدولتين _ امتازت بارتكازها على اسس الامامة الدينية، ونظرية المهدي المنتظر ،معتمدة على

الدعوة الشيعية لكنها مستقلة عن حركات الشيعة في المشرق واختصت بصفتها المغربية المحلية [١].

اما عن بداية تأسيس دولة المرابطين والتي تعود بالأصل الى قبيلة لمتونة البربرية الصنهاجية [٢]،والتي كانت تقطن بصحراء المغرب ممتدا جنوبا حتى بلاد السودان، وكانت تدين بالإسلام الذي لم تكن تعرف من احكامه الا القليل ،ولم تكن قبائل صنهاجة المقيمة في الصحراء افضل حالا من لمتونة من الناحية الدينية، غير ان اللمتونيين كانوا اكثر تعصبا للإسلام واشد حماسا في نشره في بلاد السودان بقيادة أميرهم ابي عبد الله اللمتوني[٣] بعد ان كان الشيخ عبد الله بن ياسين قد سعى لجمع كلمة صنهاجة على الدين الحنيف واعتمد الرباط اساسا لدعوته بعدها اعتمد على القوة لحرب زناتة والقضاء على زندقة برغواطة [٤].

الا ان بعد سيطرة يوسف بن تاشفين(٤٦٣-٥٠٠هـ/١٠٧١-١١٠٧م) [٥] على مقاليد الامور في دولة المرابطين عمل على توطيد قواعدها وتخطيط عاصمتها مراكش

(١)عنان، محمد عبد الله: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس،ط١،ج٢، (القاهرة،١٩٦٤) ، ص٦١٥.

(٢) اجمع المؤرخون على أن المرابطين أو الملثمين من قبيلة لمتونة البربرية الصنهاجية ويكادون يتفقون على أن صنهاجة من القبائل العربية الحميرية وانهم ساروا من اليمن الى الشام ومنها الى الساحل الافريقي حيث اتجهوا نحو المحيط الاطلسي واستوطنوا صحراء المغرب لمشابهتها لصحراء العرب .ابن الفقيه، أبي بكر احمد بن محمد الهمذاني: مختصر كتاب البلدان،ط١،(ليدن،١٣٠٢هـ/١٨٨٥م)،ص ٨٣؛ حسن ،حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،ط١،ج٤،(القاهرة،١٩٦٧)،ص ١١٥.

(٣) حسن، حسن ابراهيم :تاريخ الاسلام ،ج٤ ،ص ١١٨.

(٤) ابن ابي زرع الفاسي: الانيس المطرب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ،ط١،دار المنصور، (الرباط، ١٩٧٣) ،ص ١٦٧.

(٥) هو يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن تورقيت الصنهاجي الحميري وقد اختلفت المصادر بعض الشيء في نسبه للمزيد ينظر ابن سماك العاملي ،ابي القاسم محمد بن ابي العلاء محمد بن سماك المالقي الغرناطي :الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية،تحقيق:عبد القادر بو باية ،ط١،دار الكتب العلمية،(بيروت، ٢٠١٠م) ،ص٧٠.

فأصبحت امارة يتسمى حكامها بالأمير[١]،وعقب انتصاره في معركة الزلاقة ضد نصارى اسبانيا سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)، تسمى يوسف ((بأمير المسلمين وناصر الدين)) وهو لقب اصبح من بعده لقبا لملوك لمتونة[٢]، وكان العامل المرابطي يكتسب الشرعية من الخليفة العباسي مع انه اجراء شكلي لا يتعد ان يكون الدعوة للخليفة العباسي في الخطبة يوم الجمعة مع الأمير وكذلك ذكر اسمه في السكة[٣].

وتحولت الدولة الى مملكة وراثية بعد أن اختار يوسف ابنه عليا لولاية عهده في سنة (٤٩٦هـ/١١٠٢م)[٤] بعدها اختار علي ابنه تاشفين لولاية عهده سنة (٥٣٩هـ/١١٤٥م) [٥] واستمر الحال الى أن جاء ابراهيم ليكون خاتمة ملوك هذه الدولة[٦]،اما عن اختيار ولي العهد فلم تكن هنالك شروط للاختيار أو التقيد بأن يكون الابن البكر هو ولي العهد، وانما يختار من اولاده من يراه صالحاً وأهلا لخلافته، أما عن ولاية الاندلس وقيادة الجيوش المرابطية فيها فكانت تمنحان للابن البكر، اذا أبعد عن ولاية العهد[٧].

أما عن نشأة الدولة الموحدية، فان المهدي بن تومرت كان رجل سياسة اعتمد على الاسس الدينية الشيعية في الامامة والمهدي المنتظر والبيعة له، وسعى الى جمع كلمة قبائل المصامدة وحولهم الى قوة سياسية وعسكرية لتتغلب على قبائل الصنهاجيين (المرابطين) وتخلفهم في الحكم والملك والسلطان[٨]، وامتازت رياسة الموحدين في البداية

---

(١) ابن عذاري المراكشي، ابي العباس احمد بن محمد :البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ،تحقيق ومراجعة: احسان عباس ،ط٣ ،(بيروت،١ ٩٨٣م)ج٤ ،ص٢١ .٢٢ ؛العاملي :الحلل الموشية،ص٥٧ ـ٧٥ .

(٢)العاملي :الحلل الموشية ،ص٧٩.

(٣) العاملي:الحلل الموشية ،ص٨٠ــ٨٣.

(٤) العاملي :الحلل الموشية ،ص١٤١.

(٥) العاملي :الحلل الموشية ،ص١٩٣.

(٦) العاملي :الحلل الموشية ،ص٢٠٥.

(٧)عنان، محمد عبد الله: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس،ط١،(القاهرة،١٩٦٤) ،ج١،ص ٤١٤.

(٨) المراكشي، عبد الواحد: وثائق المرابطين والموحدين ،تحقيق :حسين مؤنس، ط١، مكتبة الثقافة الدينية ، (لامكان،١٩٩٧)،ص ٢١٦.

بأمامه منشئها المهدي بن تومرت واستمرت عشر سنوات وكانت الامامة مصدر السلطات الدينية والسياسية وبوفاة المهدي سنة (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م) خلفه في الرئاسة عبد المؤمن بن علي الذي كان كبير صحبه وآثرهم لديه وهو من طبقة العشرة الاوائل المبايعين لمهدي بن تومرت بالمهدوية[١] واستمر صراعهم مع المرابطين حتى انهوا دولتهم واستولوا على عاصمتهم مراكش سنة (٥٤١هـ/١١٤٧م)، وبهذا استكملت الدولة الموحدين سيادتها على انحاء المغرب [٢].

وهنا تحولت الإمامة الموحدية الى خلافة دنيوية بعد أن أصبح الخليفة عبد المؤمن المنشئ الحقيقي للدولة الموحدية الكبرى ، فتحولت على يديه السلطة الموحدية من امامة دينية الى ملك سياسي مع الاحتفاظ برسوم الإمامة المهدية وتعاليم المهدي الدينية والدعاء له في الخطبة وفي المكاتبات الرسمية ووصفه دائما((بالإمام المعصوم، المهدي المعلوم))[٣].

ويبدو ان تلك السياسة التي سارت عليها الدولتان باعتمادها اول امرها على الشورى والانتخاب، ثم ما لبثت أن حولت الحكم الى وراثي وملك سياسي اعتمد في ادارة البلاد والعباد على عوائل محددة ، وهذا ما يقال عن الامير يوسف بن تاشفين الذي غير امارة دولة المرابطين وجعلها وراثية في عائلته الى أن زالت دولته[٤]، وكذلك الخليفة عبد المؤمن الذي افصح في رسائله الرسمية عن ولاية العهد، الا انه لم يكن له في ذلك رغبة خاصة _أي في جعل الخلافة امرا وراثيا في عقبه _وانه حمل على تصرفه برغبة القبائل والعشائر البربرية والعربية المختلفة ، وهي التي دفعته الى القيام باختيار ولده لولاية العهد ، مع انه لم يكتف بذلك، بل عمل على تعين بقية اولاده لحكم ولايات المغرب والاندلس، وكان اولاد الخليفة ينعتون هم واعقابهم بالسادة، وهو لقب اختصوا به طوال أيام دولتهم[٥].

---

(١)العاملي :الحلل الموشية،ص٢١٥.

(٢)العاملي :الحلل الموشية،ص١٨٤.

(٣)عنان :عصر المرابطين ،ج ٢، ص ٦١٦.

(٤)الهرفي، سلامة محمد سليمان: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية وحضارية، (د، م ،١٩٨٥)، ص ٢٤٩.

(٥)العاملي: الحلل الموشية ،ص٢٣٧ ؛ عنان ،عصر المرابطين ،ج ٢، ص ٦١٨.

أما فيما يخص طريقة البيعة لولاة الامر عند المرابطين والموحدين مع اعتمادهم على مبدأ احياء السنة في اختيار ولاة الامر وبيعتهم، الا انها لم تكن بيعة عامة، حتى حق الاختيار عندهم لم يكن مطلقا، بل كان يتركز على القبائل المغربية التي تختار أميرها من بيوت معينة وقبائل خاصة كأن تكون قبيلة لمتونة عند المرابطين وقبيلة كومية عند الموحدين(١)، وهكذا جرت العادة على مبايعة الأمير، أول الامر من لدن افراد اسرته، ثم الامراء من القبيلة الحاكمة ثم رؤساء القبائل ثم القبائل الخاضعة لسلطات الدولة، أي أن البيعة تتم من الدائرة الاصغر(العائلة) لتتوسع الى الاكبر لتشمل ارجاء الدولة بكاملها.

وعلى هذا، فعناصر الوحدة ظاهرة بين الدولتين، وتتجسد اكثر في اعتمادهم على الاسلوب نفسه في البيعة والتي تكون على مرحلتين :

ا- البيعة الخاصة :

هذه البيعة يتم بمقتضاها مبايعة ولي الامر من الاسرة الحاكمة واشياخ المرابطين وطبقات الموحدين ورجال الدولة ،والتي تقتصر بالأخص على العاصمة ،وهذه البيعة قد تكون سرية أو علنية (٢).

بـ _ البيعة العامة:

وتكون استكمالاً لبيعة مراكش الخاصة ،ومن خلالها يكتب الى جميع بلاد المغرب والاندلس وبلاد القبلة بالصحراء يأمرهم بأخذ البيعة له وان يتلى عقد البيعة على منابر الدولة ويخطب له الى جانب بني العباس ،أو يخطب باسمه دون ذلك ، فتاتيه البيعة من كل انحاء البلاد (٣).

وفيما يلي جدول بأسماء أمراء المرابطين وخلفاء الموحدين مع ذكر مدة حكم كل منهم .

---

(١) السامرائي ،عبد الحميد :المؤسسات الادارية في المغرب الاسلامي ،ط١، (الموصل ،٢٠٠٩)، ص ٧٥.

(٢)السامرائي : المؤسسات الادارية ،ص ٧٦.

(٣) السامرائي: المؤسسات الادارية ،ص ٨٢.

أ: المرابطون (٤٤٨هـ-٥٤١هـ)(١٠٥٦م ـ١١٤٦م) وكانت مدة حكم الدولة ٩٣ سنة ،وهم كما يلي:

١- عبد الله ياسين (٤٥١هـ/١٠٥٩م)_(٤٦١هـ/١٠٦٩م)

٢- يحيى بن عمر الكدالي ت(٤٤٧ أو٤٤٨ هـ/١٠٥٥ أو ١٠٥٦م).

٣- أبو بكر بن عمر اللمتوني ت(٤٨٠هـ/١٠٨٧-١٠٨٨م).

٤- يوسف بن تاشفين أمير المسلمين(٤٦٣-٥٠٠هـ/١٠٧١-١١٠٧م).

٥- علي يوسف بن تاشفين أمير المسلمين(٥٠٠-٥٣٣هـ/١١٠٦-١١٣٨).

٦- تاشفين بن علي أمير المسلمين(٥٣٣-٥٣٩هـ/١١٣٨-١١٤٤م).

٧- ابراهيم بن تاشفين لم تدم إمارته الا اسابيع خلال سنة(٥٤٠هـ /١١٤٥م).

٨- اسحاق بن علي تولى سنة ٥٤٠ وقتل في مراكش على ايدي الموحدين سنة (٥٤١ هـ/١١٤٦-١١٤٧م)[١].

ب: خلفاء الموحدون(٥٤١ -٦٦٨هـ) (١١٤٦ ـ ١٢٦٩م) الذين دام حكمهم ١٢٧ سنة، وهم كما يلي:

١- محمد بن تومرت (المهدي)(٥١٥-٥٢٤ هـ/١١٢١-١١٣٠م).

٢- عبد المؤمن بن علي أمير المؤمنين(٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٣٠-١١٦٣م).

٣- أبو يعقوب يوسف(٥٥٨-٥٨٠ هـ/١١٦٣-١١٨٤م).

٤- أبو يوسف يعقوب المنصور(٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م).

٥- أبو عبد الله محمد الناصر(٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٨-١٢١٣م).

٦- يوسف المستنصر (٦١١-٦٢٩هـ/١٢١٤-١٢٢٣م).

٧- عبد الواحد المخلوع (٦٢٠-٦٢١هـ/١٢٢٣-١٢٢٤م).

٨- أبو محمد عبد الله العادل بن المنصور(٦٢١-٦٢٤هـ/١٢٢٣_١٢٢٧م).

٩- أبو العلاء ادريس المأمون بن المنصور(٦٢٦-٦٢٩هـ/١٢٢٨-١٢٣٢م).

١٠- أبو محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون(٦٣٠-٦٤٠هـ/١٢٣٢-١٢٤٢م).

(١) العاملي :الحلل الموشية، صفحات مختلفة.

١١- أبو الحسن علي السعيد المعتضد بالله بن المأمون(٦٤٠-٦٤٦هـ/١٢٤٢-١٢٤٨م).

١٢- أبو حفص عمر المرتضى بن اسحاق بن المنصور(٦٤٦-٦٦٥هـ/١٢٤٨-١٢٦٦م).

١٣- أبو العلا ادريس الواثق أبو دبوس(٦٦٥-٦٦٨هـ/١٢٦٦-١٢٦٩م).

١٤- دخول بني مرين مراكش ونهاية الموحدين ،(المحرم ٦٦٨هـ/تموز١٢٦٩م) ([1]).

ثانياً: الوزراء عند المرابطين والموحدين:

الوزير كلمة مشتقة من الوزر، والوزر الثقيل أو العبء، أو الازر :المعاونة لان الوزير يتحمل اعباء الحكم واثقاله،[٢] ووردت في القرآن الكريم ((**واجعل لي وزيراً من اهلي ،هارون اخي، اشدد به ازري ،واشركه في امري**))[٣] ، فالوزارة تعني المؤازرة والمعاونة والنصرة[٤].

لم تكن الوزارة ذات شأن عند كل من المرابطين والموحدين بداية تأسيس دولتهما، وكانت مناصب فخرية رمزية وليست وظيفية رسمية، وذلك لسيطرة الفقهاء والقضاة على جهاز الدولة بحكم طبيعة تكوينها كدولة دينية ،((فقد كان للقاضي على الوزير رقابة وهيبة لئلا يحدث عند السلطان امراً فيه ضرر للمسلمين، ولذا كان يدير معه الامور قبل

([1]) للمزيد ينظر: العاملي: الحلل الموشية، صفحات مختلفة.

(٢) الواو والزاء والراء اصلان صحيحان واه معنيان الاول الملجأ قال تعالى ((كلا لا وزر)) سورة القيامة الآية١١ ،والمعنى الثاني هو الثقل في الشيء ولهذا سمي الوزير وزيرا لأنه يحمل الثقل عن صاحبه . الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد البصري: الاحكام السلطانية والولايات الدينية، المطبعة المحمدية التجارية بمصر (القاهرة، د،ت)،ص٢٠،الفارسي،ابو علي: مقاييس اللغة ،تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت ،١٩٧٩ ، ج٦،ص ١٠٨.

(٣) سورة طه: الآية ٢٩-٣٢

(٤) الطرطوشي، ابو بكر محمد بن محمد الفهري (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م):سراج الملوك، الطبعة الخيرية،(القاهرة، ١٣٠٦ هـ) ،ص٥٦؛ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ،المجلد الاول ،(بيروت،١٩٧١)،ص ١٩٧.

ان يأخذ فيها مع السلطان))[١]، وهو ما اكده ابن عبدون بقوله: ((فبالقاضي يكون صلاح الرئيس، وبصلاح الرئيس يكون صلاح الرعية والبلاد والوزير واسطة بينهما، فباتفاق القاضي والوزير يكون صلاح الدولة))[٢]، مع ان الوزير هنا لم يكن سوى الكاتب الذي اختص بشؤون امير المسلمين.

وكذلك الحال عند الدولتين المرابطية والموحدية في مسالة مجالس الوزراء ،فالدولتان لم يكن لديها بداية تأسيسها اي مجالس وزارية بمعناها المعروف وانما كان لها هيئة استشارية وتطور الامر مع تطور الدولة عند المرابطين على يد يوسف بن تاشفين ،وعند الموحدين على يد الخليفة عبد المؤمن ،وكان يتم اختيار الوزراء من بين القادة العسكريين [٣] ، فقد اتخذ يوسف بن تاشفين صهره القائد سير بن أبي بكر[٤] وزيراً له، كما استوزر علي بن يوسف بن تاشفين ينتيان بن عمر[٥] قائد فرقة الحشم[٦]، ثم بعد ذلك استوزر ابنه اسحاق بن ينتيان وكان يتوقد ذكاءً ونبلاً، فاعجب علي بن يوسف وجعل له النظر في المظالم والشكايات[٧]، وهنا تظهر بجلاء الوحدة في المجال الوزاري بين الدولتين.

---

(١) السامرائي :المؤسسات الادارية، ص ١٨٠.

(٢) ابن عبدون ،محمد بن احمد :رسالة في القضاء والحسبة ،تحقيق ،ا، ليفن بروفنسال،(القاهرة ،١٩٥٥)،ص ١٤-١٥.

(٣) حسن، حسن علي: الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس _عصر المرابطين والموحدين- ،ط١،مكتبة الخانجي، (مصر،١٩٨٠م)،ص ٩٤ .

(٤)من اشهر قوات المرابطين وهو الذي فتح اشبيلية وفتح بعدها قرمونية ولبلة وشهد الحصار على حصن لبيط ثم ازال دولة بني الافطس واستولى على بطليموس سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وظل واليا على اشبيلية بتعيين من يوسف بن تاشفين الى ان توفي سنة ٥٠٧ هـ/١٠١٣م .العاملي: الحلل الموشية ،ص ٧٢.

(٥) من كبار رجال المرابطين ،واليه يرجع الفضل في اطلاق سراح محمد بن تومرت من سجن علي بن يوسف وكات اول غزوة للمهدي ضد المرابطين بقيادة ينتيان بن عمر. العاملي: الحلل الموشية ،ص ١٤٨.

(٦)حشم الرجل خدمه ومن بغضب له، سمو بذلك لانهم يغضبون له .الرازي(ت٦٦٦هـ) ،محمد بن اب بكر : مختار الصحاح دار القلم بيروت ،دون تاريخ ،ص ١٣٨ .

(٧) ابن عذاري :البيان المغرب ،ج٤،ص ١٠١-١٠٢.

وفيما يلي استعراض لتطور الوزارة والوزراء عند المرابطين والموحدين وملاحظة مدى التشابه في بنيان النظام الاداري عندهما، فلم تطلق لفظة الوزير عند المرابطين بمعناها التخصصي الدقيق، بل كانت تستخدم بشكل فخري، كما لم يكن لديهم مجلس وزراء بمعناه الدقيق، وانما كان هيئة استشارية يشترك فيها طائفة من الفقهاء والاشياخ والاعيان والكتاب ويتوزع افرادها شؤون الادارة ويتولى كبيرهم رئاسة المجلس والذي يكون بمثابة مجلس للوزراء في الوقت الذي يتولى الوزير الكاتب اعداد الوثائق الرسمية العامة ،وبعد ان تولى الامير علي بن يوسف السلطة اتخذ وزراء ومستشارين من الفقهاء وكبار العلماء(١).

اما الموحدون فقد اعتمد محمد بن تومرت في ادارة حكومته على عدد من اتباعه، وهم جماعة العشرة الاوائل بمثابة اعضاء وزارته واصحاب مشورته، وكان الجميع بين الكتابة والوزارة الى ان سيطر الموحدون على بجاية فاستكتب عبد المؤمن رجلا من اهلها وانفرد ابن عطية بالوزارة فقـط(٢).

ومع تطور الدولة الموحدية وترسخ نظام الادارة بها اصبحت الوزارة والوزير أكثر تخصصاً، فاعتمدوا نظام الوزارة بجانب المشيخة للراي والمشورة عند الخليفة وبذلك عرفوا بأشياخ الرأي أو البساط (٣)، وبعد ان فرضوا سلطانهم على الاندلس تأثروا بنظامها، فاتخذوا كتاباً يشرفون على ديوان الانشاء وكذلك وزراء ارفع منزلة من الكتاب لكنهم ادنى مرتبة من ولاة الأمر وهم للمجالسة والمشاورة بما يخص الدولة من امور فاكتملت الادارة وتطورت وظائفها كالوزارة والكتابة والقضاء(٤).

وعن الوزارة عند الموحدين يقول ابن خلدون: ((ولما جاءت دولة الموحدين لم تستكمل فيها الحضارة الداعية الى انتحال الالقاب وتمييز الخطط وتعيينها بالأسماء، الا آخراً فلم يكن عندهم من الرتب الا الوزير، فكانوا اولاً يخصون بهذا الاسم الكاتب

(١) السامرائي: المؤسسات الادارية ،ص ١٨٣.

(٢)العبادي ،احمد مختار : دراسة في تاريخ المغرب والاندلس ،(الاسكندرية، ١٩٦٨)، ص ١٥٩.

(٣) العبادي : دراسة في تاريخ المغرب والاندلس ،ص ١٥٦.

(٤)السامرائي: المؤسسات الادارية ، ص ١٨٥.

المتصرف المشارك للسلطان في خاص امره كابن عطية وعبد السلام الكومي وكان له مع ذلك النظر في الحساب والاشغال المالية ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لأهل نسب الدولة من الموحدين كابن جامع وغيره))[١]، والشيء نفسه يقال عن المرابطين .

والظاهرة الاخرى التي اشترك فيها المرابطون والموحدون هي اعتمادهم على ابناء الاندلس للوزارة في المغرب للإرث السياسي والحضاري لمن ينتمي للأندلس ،فضلا عن ذلك القبائل في المغرب لا تمتلك ذلك الارث بحكم بيئتها الصحراوية ، ومنهم ابن عبدون الذي استدعي من الاندلس للخدمة في ديوان المرابطين[٢]، كما توزعت الاعمال الادارية بين عدد من الوزراء بما يشابه نظام الوزارة في الوقت الحالي اذ كان للأشغال العامة ومصالح الناس وزير وللمالية وزير وللكتابة والتراسل وزير وللقضاء والنظر في المتظلمين وزير وللنظر في أهل الثغور وزير [٣]، اما الوزراء فكانوا على نوعين: الاول الوزراء الرسميون وهم ضمن الهيكل التنظيمي للدولة، والثاني هم وزراء فخريون أو تشريفيون الذين استحقوا هذا اللقب نتيجة اعمال قاموا بها اهلتهم لنيل هذا اللقب [٤].

وفيما يخص قواعد اختيار الوزراء فقد لاحظت مدى التشابه والوحدة في طريقة الاختيار بين المرابطين والموحدين واعتمادهم على نفس الاسس تقريبا، وبما أن الدولتين اعتمدت على الجهاد فنظام حكمهما كان على اسس حربية ، فأمير المسلمين أو الخليفة هو القائد اما المساعدون فهم قادة الجيش، ولهذا كان يتم اختيار الوزراء على هذا الاساس لكن الامر كان يتطلب ايضاً كتابة الوثائق والمراسيم، وهنا دعت الحاجة الى اختيار وزراء اخرين الى جانب الوزراء الحربيين، وكان لابد من اتصافهم بصفات ومؤهلات معنية ،مع ان الظروف السياسية تحكمت في اختيار الوزراء وفق الاسس

(١) ابن خلدون :العبر ،ج١،ص ٢٠٠-٢٠١.

(٢)المراكشي، عبد الواحد (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م):المعجب في تلخيص اخبار المغرب ،مطبعة الاستقامة ، (القاهرة ، ١٩٤٩) ،ص١٦٤.

(٣) الجيلالي ،عبد الرحمن بن محمد :تاريخ الجزائر العام ،ج٢،المطبعة العربية بالجزائر،(الجزائر،١٩٥٣)، ص ٢٩١.

(٤) السامرائي: المؤسسات الإدارية، ص ١٨١.

القبلية_ الاسرية، مما ادى الى انحصار منصب الوزارة في الاسرة الحاكمة وفي بعض الاحيان في اسر معينة [١].

وبناء الهيكل التنظيمي لمنصب الوزارة ابتدأ في عصر المرابطين، واستكمال مقوماته في عصر الموحدين فكأنما الدولتين مكملة احداهما للأخرى ،وكان الهرم الوزاري كما يلي :

١-**الوزير الاول:** وهو يمثل رئيس الوزراء في عصرنا الحاضر ويعد الرجل الثاني بعد الخليفة والذي يتم تعينه من لدن الخليفة ليكون واسطة بينه وبين بقية الوزراء وعامة الناس .

٢-**وزير الخليفة:** ويعينه الخليفة ليكون واسطة بينه وبين عامة الناس مع تمتعه بصلاحيات مختلفة، ففي دولة المرابطين والموحدين من تولى الوزارة كانوا وزراء تنفيذ، لان الحكم كان مقتصراً على راي امير المسلمين والفقهاء من حوله ، وهذا الوزير ((ينفذ عنه ما ذكر، ويمضي ما حكم، ويخبر بتقليد الولاة وتجهيز الجيوش ،ويعرض عليه ما ورد منهم فهو معين في تنفيذ الاوامر، وليس بوال عليها، ولا متقلد لها))[٢].

٣- **الوزير الحاجب** : وهو الذي يقوم مقام الحاجب، فهو يحجب الخليفة عن الخاصة ويأذن للوفود بالدخول عليه مع تقديم كل فرد بذكر اسمه ونسبه وبلده [٣] .

٤-**وزير الوزير:** وهو الوزير الذي يكون تابعا للوزير المركزي المقيم في العاصمة مراكش وهنالك وزراء تابعين للأمراء المحليين ايضا[٤].

---

(١) السامرائي: المؤسسات الإدارية ، ص ١٨٦.

(٢) السامرائي: المؤسسات الإدارية ،ص ١٩٣-٢٠٣.

(٣)ابن صاحب الصلاة ،عبد الملك، تاريخ المن بالإمامة ،تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الحرية ،(بغداد، ١٩٧٩)،ص ٤٥٧.

(٤)المراكشي: المعجب ،ص ١٦٤ .

ثالثا: الكتاب عند المرابطين والموحدين :

الكتابة في اللغة مصدر كتب ومعناها الجمع ،ويسمى الخط كتابة لجمع الحروف، ويقال تكتب القوم اذ تجمعوا، وسمي الكتاب لجمع الكتابة المكتوبة فيه(١)، واصطلاحاً فالكتابات هي كتابة الانشاء والاموال(٢)،وقد حصر لفظ الكتابة عند الاضطلاع بصناعة الانشاء وتحرير الرسائل، ان وظيفة الكتابة من الوظائف الضرورية في الدولة ،والتي لا يمكن الاستغناء عنها فهي المؤسسة الادارية التي تنظم سير امور الدولة سواء اكان ذلك على الصعيد الداخلي ام الخارجي(٣)، والكاتب نظير الوزير، بل حتى لقب بالوزير وكذلك صاحب السيف والقلم ،لذلك اطلق لفظ ((ذو الوزارتين))على من كان يجمع بينهما ،واصبحت الكتابة سبيلاً الى الوزارة في كثير من الاحيان(٤).

وتبرز هنا عناصر الوحدة في اعتماد الدولتين المرابطية والموحدية منذ قيامهما على الكتاب، اذ اتخذ امراء المرابطين وخلفاء الموحدين الكتاب لمساعدتهم في تسجيل المكتبات الخاصة بالرسال المتنوعة على لسانهم الى عمال الدولة وقادتها وكبار موظفيها وارتفعت وظيفة الكتابة ليصبح متولاها من اهل البلاغة والأدب(٥)، وإن اختار الكتاب يعتمد على صفاتهم الشخصية ومؤهلاتهم العلمية والثقافية ومعرفتهم في الامور المالية، وكان ولاة الامر يتحرون عن الشخص بتلك الصفات قبل تعينه. وكانت الكتابة عند الموحدين من اهم خطط الحكومة، اذا كان الخليفة الموحدي، يجمع في بلاطه ابرز الكتاب وابلغهم ،وكذلك كان السادة من الولاة سواء بالمغرب او من الاندلس ،وفي بلاط الخليفة عبد المؤمن يرى ثبتاً طويلاً من ائمة النثر والبلاغة ليكونوا لساناً للخليفة وترجماناً له في

(١)ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم :لسان العرب ، دار صادر،(بيروت، ١٩٥٥)، مج١، ص٦٩٩.

(٢)النويري ،شهاب الدين :نهاية الارب في فنون الادب ،ج ٧،(القاهرة، لا. ت)،ص١.

(٣)السامرائي: المؤسسات الادارية، ص ٢١٩.

(٤) حسن ،حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي ،ج٤،ص ٤٣٤.

(٥) السامرائي: المؤسسات الادارية،ص ٢١٩.

مخاطبة الولاة والقبائل والعامة في جميع اطراف الدولة في المغرب والاندلس على السواء[١].

رابعاً: الحجاب عند المرابطين والموحدين :

والحاجب من الحجب والحجابة، حتى لا يطلع الناس على ولاة الامر فهو يحجب الخليفة عنهم حسب مقامهم واهمية اعمالهم، والحاجب من كبار موظفي الدولة ويكون الواسطة بين الخليفة والناس، وهو من يقدم السفراء ويأذن لمن يشاء بالدخول أو يمنعه ولديه صلاحية للبت في القضايا التي لا تستدعي نظر الخليفة[٢]،،وكان الحجاب من الموثق بهم ،وفي اكثر الاحيان كانوا من الاسرة الحاكمة، وممن اتصفوا ببشاشة الوجه ولين العريكة سالمين من كل عاهة عارفين بمنازل الناس واقدارهم [٣].

ولم تكن وظيفة الحجابة ذات سمعة معينة ،فلم يعثر في نظم المرابطين على من حمل اسم الحاجب، بل كانت الحجابة مندرجة تحت خطة الوزارة ، فكان الوزير احيانا يقوم مقام الحاجب وعن ذلك يقول ابن خلدون:((واختاروا اسم الوزير، لمن يحجب السلطان في مجلسه، ويقف بالوفد والداخلين على السلطان عند الحدود في تحيتهم وخطابهم، والآداب التي تلزم في الكون بين يديه، ورفعوا خطة الحجابة عنه ما شاءوا))[٤]، ومن الواضح ان عمل الحاجب اقتصر على خدمة امير المسلمين عند المرابطين أو الخليفة عند الموحدين، وقد وجد حجاب لمحمد بن تومرت والخلفاء الموحدين الاخرين يقتصر عملهم على خدمة الحاكم اي ولي الامر ومرافقه في حله وترحاله [٥]، ومما سبق تظهر لنا عناصر الوحدة بين المرابطين والموحدين.

---

(١)عنان ،محمد عبد الله :المرابطين والموحدين ،ج ٢ ،ص ٦٢١-٦٢٢.

(٢) الكروي، ابراهيم : وشرف الدين ،عبد التواب ،المرجع في الحضارة العربية الاسلامية، ط٢، منشورات ذات السلاسل،(الكويت ،١٩٨٧) ،ص ٦٥.

(٣) السامرائي: المؤسسات ..، ص ٢٤٥.

(٤)ابن خلدون :العبر ،ج١ ،ص ٢٠٠.

(٥) المراكشي: المعجب ،ص ٣٣٨.

خامساً: الولاة عند المرابطين والموحدين :

لقد جاءت كلمة الولاية في اللغة من اسم الله (الولي)الذي يعني الناصر، فالولاية تعني السلطان والنصرة[١]،اما الوالي فهو الذي يعينه الامير أو الخليفة على احدى المدن أو احد الاقاليم، وقد سمي ولاة المرابطين بالأمراء لأنهم من افراد الاسرة الحاكمة، اي الامير عليها والوالي لها بصفته الادارية[٢].

ويتم تعين الوالي بعد أن يستشير الامير أو الخليفة رؤساء القبائل وقواد المناطق والاعيان وافراد القبيلة ووجهاء عيون عقلاء الرعية، وهو نوع من الشورى فيما بينهم وذلك لحملهم على الطاعة والامتثال لمن تختاره القبيلة لتدبير امورهم ويكون الوالي واسطة بينهم وبين سلطة البلاد، وفي بعض الاحيان يترك شؤون الولايات الداخلية لأهلها في اختيار الولاة للظروف الاستثنائية، وبخاصة في الحالات التي يضطر الامير فيها للخروج للجهاد وغير ذلك، وكانت عملية اختيار الولاة تتم في الاغلب من الاسرة الحاكمة نفسها أو من ذوي قرباهم، وهو ما ادى الى الاسراع في انهيار وسقوط دول المغرب لان المنازعات التي كانت تحدث بين الامراء طمعاً وحباً في الاستقلال وادعاء الخلافة لأنفسهم[٣].

وهذا ما يلاحظ حين عمد امير المسلمين يوسف بن تاشفين امير المرابطين الى توزيع اقاليم المغرب الاسلامي بين بنيه وذويه ،حتى قال ابن خلدون عنه: ((اقتسم المغرب عمالات، على بنيه ،وامراء قومه وذويه))[٤]، واتبع الامير علي بن يوسف بن تاشفين سياسة ابيه في تعيين ذوي القربى بمناصب الولاية من الامراء والقادة وبالأخص من افراد الاسرة الحاكمة. وكان الوالي المختار في عهد المرابطين ملزم بان يسير في سياسته وفق مبادئ وتعاليم المذهب المالكي وان يستعين في ادارة ولايته برؤساء القبائل وكبار الفقهاء[٥].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ،مج١٥،ص٤١١.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب،ج٤،ص ٤٨.

(٣) السامرائي: المؤسسات الادارية، ص ٢٥٧.

(٤)ابن خلدون :العبر ،ج ٦ ،ص ١٨٥.

(٥) المراكشي: المعجب ،ص ١٧١-١٧٢.

اما الموحدون فقد اعتمد الخليفة عبد المؤمن بن علي في ادارة اقاليم دولته على اشياخ الموحدين، وعمل في الوقت نفسه على الحد من نفوذ طبقات الموحدين، حينما احس بقوتهما واتخذ في سبيل ذلك اجراءات عديدة، منها استقدامه قبيلة كومية للاحتماء بها والاعتماد عليها، ثم استعان بالقبائل العربية ،وبعدها عمل على تولية ابنائه الولايات، واخيرا لجأ الى تغيير طبقات الموحدين، فجعل كل واحد منهم على اقليم ،وقدم ابناء المشيخة تحت ايديهم وعين لهم من الوزراء والحجاب والقادة اكفاء الاشياخ وابرع الحفاظ على ان يأخذوا رايهم في جميع الشؤون المهمة في السياسة والادارة [١]، وبجانب ابناء الخليفة الذين تولوا السلطة في اقاليم الدولة ، وكان هناك الطلبة الحفاظ وهم خريجو المدرسة التي انشأها الخليفة عبد المؤمن بن علي الذي ولي بعضهم اقاليم الدولة [٢].

ويتضح لنا مما سبق عناصر الوحدة بين المرابطين والموحدين، اذ عمل حكام الدولتين على تولية ابنائهم ولاية الاقاليم التابعة لهم مع اعتمادهم على عناصر اخرى عند المرابطين من ذوي القربى وعند الموحدين من طبقة الطلبة ،وهنالك مجلس يساعدهم في ادارة الولاية مكون من الوزراء والجاب والقادة.

سادساً: القضاة عند المرابطين والموحدين :

القضاء لغة هو ابرام الامر والفراغ منه [٣] ،وجاء في قوله تعالى:((فقضاهن سبع سموات في يومين))[٤]،ويأتي بمعنى الحسم والامر[٥]،كما في قوله تعالى:((وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه))[٦].

والقاضي اصطلاحاً هو القاطع للأمور المحكم لها ،لأنه يقطع الخصومة بين الخصمين بالحكم[٧]،قال تعالى:((ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم

(١)السامرائي: المؤسسات الادارية ،ص ٢٦١.

(٢) السامرائي: المؤسسات الادارية ، ص ٢٦٣.

(٣) ابن منظور: لسان العرب ،مادة مج١٥،ص١٨٦.

(٤) القرآن الكريم ،سورة فصلت ،الآية ١٢.

(٥)الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس في جوهرة القاموس ،(بيروت ،د.ت)،مادة قضى.

(٦) القران الكريم ، سورة الاسراء ، الآية ٢٣.

(٧)ابن منظور: لسان العرب ،مادة قضي.

))[١]،مما قاله ابن خلدون عن القضاء:((انه منصب الفصل بين الناس في الخصومات، حسما للتداعي ، وقطعا للتنازع ،الا انه بالأحكام الشرعية المستنبطة من الكتاب والسنة))[٢].

وكان اختيار قاضي الجماعة وقضاة الاقاليم غالباً ما يتم من بين القضاة المشهود لهم بالصلاح في القضاء وممن تولوا مناصب في الدولة ،اي مراعاة التدرج الوظيفي في حالة اختيار القضاة الكبار[٣]،وفي كل عاصمة ولاية يعين قاضي للجماعة ،وهو يتولى اختيار نوابه في مناصب القضاء المحلية ، وكان الاندلسيون في عهد المرابطين يستأثرون بمناصب القضاء في بلادهم، بسبب تفوقهم بالدراسات الشرعية، وتفوق قضاة الاندلس في الفقه المالكي وفي ممارسة الاحكام وتطبيقها [٤].

وسار القضاء والفتيا في المغرب الاسلامي على مذهب الامام مالك، وذلك لقربه من الجزيرة العربية قياسا للعراق والشام، وكون البيئة الصحراوية بيئة بسيطة وغير معقدة ،فهو الانسب بالنسبة لبلاد المغرب والاندلس، وبموجبه حلت معظم المشكلات الفقهية بجوانب الحياة العلمية ،حتى ان اهل قرطبة كانوا لا يولون قاضيا الا بشرط ان لا يعدل في حكمه عن المذهب المالكي، هذا في العصر المرابطي، واستمر كذلك في العصر الموحدي ،الا ان الخليفة المنصور الموحدي عين في اواخر ايامه قضاة من الشافعية على بعض البلاد ومال اليهم ،ولم يكن اختيار القاضي مرتبطا بمكان جغرافي أو اقليمي، بل كان الاختيار يقع على الشخص المناسب سواء اكان من المغرب ام من الاندلس أو من اي بقعة اخرى أو اقليم من اقاليم العالم الاسلامي ما دام يتمتع بخصائص تؤهله لتولي المنصب [٥].

فالتعيين في الظروف الاعتيادية كان يتم باختيار ولاة الامر للقاضي أو من يخولهم نيابة عنه، اما في الاضطرابات السياسية فكان التعيين يتم بأمرين هما: اجماع اهل الراي

(١)القران الكريم ، سورة الشورى ،الآية ١٤.

(٢)ابن خلدون :العبر ،ج ١، ص ١٨٤.

(٣)السامرائي :المؤسسات الادارية ،ص ٣٤٩.

(٤)عنان :عصر المرابطين والموحدين ،ج ٢، ص ٦٢٨.

(٥)السامرائي :المؤسسات الإدارية، ص ٣٤٩.

والعلم من اهل المدينة أو ان يتم تعين قاضي من لدن الامير المتسلط ،وقد تنعقد ولاية القضاء مشافهة أو تنعقد بالكتابة، ويبعث ولي الامر اليه مستدعياً لمقابلته ولإعطاء توجيهاته فيصبح بذلك بمثابة اساس يجب عليه ان يحترم نصوص المرسوم وتوجيهات ولي الامر [١].

ويتضح من استقراء القضاة عند المرابطين والموحدين بان عناصر الوحدة والتشابه واضحة للعيان في طرق اختيار القضاة وتعينهم ومناصبهم واصنافهم حتى المذهب المتبع ،عدا تعيين المنصور الخليفة الموحدي لقضاة من الشافعية ،الا انه لم يلغ المذهب المالكي من الناحية الرسمية ، بعد ان كان الاعتماد على قضاة المالكية.

سابعاً: المحتسب عند المرابطين والموحدين :

الحسبة في اللغة والاصطلاح: يراد بها العد والقصد[٢]، والحسبة اسم من الاحتساب في الاعمال الصالحة ، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب (ﷺ):((أيها الناس احتسبوا اعمالكم فان من احتسب عمله كتب له اجر عمله واجر حسبته))[٣]، ولم تكن الحسبة منصباً قضائياً للنظر بالمظالم أو القضاء، وانما هي منصب ذو طبيعة ادارية وتنفيذية ،اساسه الامر بالمعروف اذا ظهر تركه والنهي عن المنكر اذا ظهر فعله والاصلاح بين الناس[٤]،استناداً الى قوله تعالى: ((ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر))[٥].

والحسبة نظام للرقابة على سير الحياة الاقتصادية والاجتماعية وفق الشريعة الاسلامية بطريقة تجعلها في اطار قواعد الشرع الاسلامي وفي نطاق المصلحة العامة

---

(١) السامرائي :المؤسسات الإدارية ، ص ٣٥٣-٣٥٧.

(٢) الزبيدي : تاج العروس ،مادة حسب.

(٣) الزمخشري، ابي القاسم جار الله محمود بن عمر: الفائق في غريب الحديث ،تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم،ط٢،عيسى البابي الحلبي وشركاؤه (القاهرة، د، ت)ج١،ص٢٨٢.

(٤)الماوردي: الاحكام السلطانية ،ص٢٤٠؛الفراء ،محمد بن الحسن، الاحكام السلطانية ،تصحيح محمد الفقي ،ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ،(مصر،١٣٥٦هـ/١٩٣٨م)،ص ٢٦٨.

(٥) سورة ال عمران ،الآية ١٠٤.

للمجتمع[١]، والمحتسب هو صاحب السوق ،لان اكثر نظره انما كان يجري في الاسواق، وان تعيينه من تقاليد التوقيع حيث يضمن كتاب من الديوان الوصية بالأناة والرفق ،وجملة الوصايا التي تدخل في اختصاص المحتسب[٢].

وقامت دولة المرابطين على مبدأ الحسبة، وكانت تدار من قبل الفقهاء ،والمبدأ: هو (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)،ولقوة الشعور الديني لديهم كان نظامهم لا يخلو من الحسبة وهم بطبيعتهم اصحاب تقشف واكتفوا بالقاضي المحتسب، ويذكر ان داعية المرابطين عبد الله بن ياسين عند وصوله الى سجلماسة غير ما وجده من المنكرات فقطع المزامير واحرق متاجر الخمر، وكذلك فعل محمد بن تومرت اثناء رحلة العودة الى المغرب الاقصى فقام بمهام الحسبة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، واحرق الخمور التي وجدها بمدينة ملالة ،وقال المؤمن تمار، والكافر خمار[٣].

وفي الاندلس اسندت الحسبة الى كبار الفقهاء من طبقة القضاة والمحتسب هو الذي يتولى النيابة عن القاضي لان الخطتين كانتا متداولتين بين القضاة والحسبة وقد وجد من القضاة من زوال اعمال الحسبة ،والمحتسب له مساعدان يطلق عليهم العرفاء[٤]، والسلطات التي منحت للمحتسب واسعة بفضل دعم المذهب المالكي ولاسيما السلطات التنفيذية من استخدام القوة أو الجمع بين مؤسسات القضاء والحسبة والشرطة ،وبما يعضد ويقوي سلطته في حالة ضعف مبدأ الرقابة الاخلاقية الذاتية نتيجة ضعف الوازع الديني بمرور الزمن[٥].

ومن هنا يتبين لنا مظاهر الوحدة والتشابه في وظيفة المحتسب عند المرابطين وعند الموحدين فقد اهتمت الدولتان بهذه الوظيفة الادارية بحكم كونها دولتين قامتا على دعوات دينية واصلاحية.

---

(١)دهمان، محمد احمد ،معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي ،ط١، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، (بيروت، دمشق ،١٤١٠هـ/١٩٩٠م)،ص٦١.

(٢) السامرائي: المؤسسات الادارية، ص ٤١٣-٤١٥؛ الكروي: المرجع ،ص ٩٢-٩٣.

(٣) السامرائي: المؤسسات الادارية ،ص ٤١٣-٤١٥.

(٤)الكروي :المرجع ،ص ٩٢.

(٥)السامرائي: المؤسسات الادارية ،ص ٤١٥.

ثامناً: الشرطة عند المرابطين والموحدين:

الشرطة في اللغة والاصطلاح :اشارت المصادر الى قولين في اشتقاق لفظ الشرطة: احدهما: انها من لفظ الشَرَطْ بفتح الشين والراء بمعنى العلامة، لأن الشرطة كانوا يتخذون علامات يتميزون بها، وكان من زي اصحاب الشرطة نصب الاعلام على مجالسهم، والثاني: انها مشتقة من الشَرْط بفتح الشين وسكون الراء، بمعنى الدون أو الاراذل لان الشرطة يحتكون بأراذل الناس وسفلتهم من اللصوص ونحوهم(١).

ويطلق في المغرب الاسلامي على صاحب الشرطة ((العريف))، وقد اشار الى ذلك ابن الزيات بقوله:((ان اصل ابي العباس بن العريف من طنجة، وانما سمي والده بالعريف لأنه كان بطنجة صاحب حرس الليل))(٢).

وكانت ولاية الشرطة الكبرى للأكابر من رجالات الدولة حتى صارت ترشيحا للوزارة والحجابة، ولعل ذلك راجع الى قيام دولة المرابطين ودولة الموحدين في الاخذ بمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فكانوا يقومون بما يقوم به رجل الشرطة في المحافظة على الامن والاستقرار ومراقبة الآداب العامة (٣).

مما سبق تظهر لنا عناصر الوحدة والتشابه بين الدولتين المرابطية والموحدية في الاهتمام باختيار صاحب الشرطة .

المبحث الثاني
عناصر الوحدة والتنوع الاقتصادي بين المرابطين والموحدين

اولاً: الزراعة عند المرابطين والموحدين:

ان الرقعة الجغرافية الواسعة التي استطاعت الدولة المرابطية ان تضمنها تحت سلطتها السياسية قد تميزت بالتنوع الجغرافي ما بين السهول والجبال والصحارى، خاصة وانها استطاعت لأول مرة في تاريخ المغرب السياسي من توحيد بلاد المغرب في

(١)ابن منظور :لسان العرب ،مادة مج٧،ص٣٢٩.

(٢) ابن الزيات :التشوف ، ص ٩٧٥.

(٣)السامرائي: المؤسسات الادارية ، ص ٤٢٣.

شمالها وجنوبها مع بلاد الاندلس، وهذا عمل نوعاً من التكامل الاقتصادي، مع اهتمام المرابطين بجميع نواحي الاقتصاد من زراعة وصناعة وتجارة والشيء نفسه يمكن ان يقال عن الدولة الموحدية .

فيما يخص الزراعة عند المرابطين كان للدولة دور كبير في عملية التطور الزراعي اذ بذلت الجهود الحثيثة من اجل توفر المياه عن طريق حفر الابار ومد القنوات وفرض الامن في البلاد وهذا الدعم والتشجيع من لدن الدولة للمزارعين ادى الى زيادة المحاصيل الزراعية مما انعكس على ثمنها فرخصت الاسعار(١)، واشتهرت مدينة مكناسة بالزيتون وطنجة والسوس بالحنطة والشعير، وكان القطن يزرع في المناطق المنخفضة في المغرب ومن المغرب انتقل الى الاندلس، فضلاً عن وجود مناطق لرعي الحيوانات وخاصة الخيول والابل، لما لها دور كبير في الحروب(٢).

ولجأ المرابطون في الاندلس الى تطبيق سياسة كان لها اثرها الفعال في زيادة الانتاج وانعاش الزراعة في البلاد، فقد اقطعوا الجند ارضاً يفلحونها ويستثمرنها ويستولون على غلتها، وكانت هذه سياسة بعيدة الاثر في تاريخ الحياة الاقتصادية في البلاد ،مما فسح المجال للفلاحين الذين هجروها بالعودة اليها، بعد ان شاع في البلاد الامن والاستقرار والطمأنينة ،وضعف عبء الضرائب(٣).

اما الزراعة عند الموحدين فالمعروف ان الدولة الموحدية حكمت اراضي الدولة المرابطية نفسها، ووصف الجغرافيون المغرب في عصر هذه الدولة بأنه:((بلاد العمائر والخيرات))،وذلك لازدهار الحياة الزراعية في سهول المغرب الداخلية منها والساحلية وحتى في التلال القريبة من الجبال وفي المناطق التي يتوفر فيها الماء عند حدود جبال الاطلس مثل مدينة اغمات او في الواحات، ويذكر ان الخليفة عبد المؤمن حاله حال الامير يوسف بن تاشفين نظم قانون زراعة الارض اذ لم يهمل جزءا من الارض

(١)الهرفي: دولة المرابطين ،ص ٢٨١-٢٨٢.

(٢)السامرائي: خليل ابراهيم :علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالأندلس وبالدولة الاسلامية، دار الحرية،(بغداد ،١٩٨٦)، ص ٤١٤.

(٣) محمود ،حسن احمد : قيام دولة المرابطين ،ط٢، دار الفكر ،(مصر،١٩٩٦)،ص ٣٥٣-٣٥٤.

الصالحة للزراعة دون ان تزرع ، فنشطت الزراعة ونشطت معها مستحقات الدولة منها [١].

وتنوع ناتج الزراعة ففي المغرب انتجت الغلات الزراعية كالحبوب والزيتون ،اما زيت اركان فكان يستعمل للتغذية والانارة والعلاج، كما كانت تنتج المواد الصناعية كقصب السكر في منطقتي مراكش والسوس، اما انتاج القطن فكان في سجلماسة، والحناء في درعة، واهتموا ايضاً بالمغروسات وظهر ذلك على عاصمتهم مراكش التي كانت اكثر بلاد المغرب بساتينا واكثر شجرها الزيتون، واشتهرت ايضاً بالبساتين كل من مدينتي فاس ومكناس[٢].

واهتم الموحدون والمرابطين بطرق ايصال الماء الى المزروعات بطرق هندسية رائعة تصفها الكتب الجغرافية والمؤرخون في كتبهم [٣]، وتشجيعاً للزراعة امر ابو يوسف بغرس جميع انواع الاشجار في مراكش واوصل الماء اليها، وكان الخليفة عبد المؤمن اول من انشأ المسرة وهي (جنان المنارة الحالي) وكان طول البستان ثلاثة اميال وفيه جميع اصناف الفواكه، وجلب اليه الماء من اغمات في جداول هندسية، وفي اعلى جبل طاف بنى رحى تتحرك بالهواء لطحن الاقوات [٤].

يتضح لنا بجلاء ان الدولة المرابطية وتبعتها الدولة الموحدية اولت الزراعة اهمية كبيرة، وان الذي ساعد على ذلك الاهتمام توفر الاراضي الخصبة الصالحة للزراعة التي كانت ضمن نطاق دولتهم ، ونلاحظ ايضا ان لسيادة الامان اثره كعامل مشجع للقيام بالزراعة ، فضلاً عن اهتمام الامراء والخلفاء شخصياً بأمور الزراعة والري وتوفير سبل تسهيل امور الزراعة بإيصال الماء الى الاراضي الزراعية وبشتى الطرق والوسائل، وهنا تظهر وبوضوح عوامل الوحدة بين الدولتين .

---

(١) علام ،عبد الله :الدولة الموحدية في المغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ،ط١،دار المعارف ، (مصر، ١٩٧١)، ص ٢٥٤.

(٢)اشياخ، يوسف: تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان ،ط٢، (القاهرة، ١٩٥٨)،ص٤٩٤.

(٣) اشياخ، المصدر نفسه، ص ٤٩٤.

(٤) السائح، الحسن :الحضارة المغربية عبر التاريخ،ج١،ط١، (الدار البيضاء ،١٩٧٥)،ص ٢١٧.

ثانياً: الصناعة عند المرابطين والموحدين :

نظراً لامتداد الاراضي التي خضعت لسلطة الدولة المرابطية ومن بعدها الدولة الموحدية وتنوع انتاج هذه المناطق من المعادن المختلفة والمنتجات الزراعية المختلفة التي تدخل في الصناعات والاهتمام الكبير من لدن السلطات الحاكمة بالصناعات وتشجيعها ودعمها، كل ذلك سهل قيام صناعات متنوعة ومهمة في البلاد سواء في بلاد المغرب او بلاد الاندلس ،اذ اكملت الواحدة منهم الاخرى، فضلاً عن وجود طرق اتصال سهلة بين جميع اطراف الدولة [١] .

في زمن المرابطين ظهرت في المغرب والاندلس مراكز صناعة ضخمة كان لها اسمها واختصت بنوع معين من الصناعات كمدينة فاس ومراكش واغمات بالمغرب ،وكانت اغمات تصنع مصنوعات معدنية من نحاس وغيره وتصدرها الى السودان وكذلك منتجات زجاجية ، وكانت اسواق مدينتي فاس ومراكش تباع فيها منتوجات محلية من الجلد واحذية والبسة صوفية، وكلها مصنوعات محلية وبأيد مغربية[٢].

وفي الاندلس استمرت الصناعة ايام المرابطين بكل المجالات ،سواء الصناعات الحربية او المعدنية، وكانت مدينة المرية فيها من كل الصناعات من طراز الحرير(٨٠٠) طراز يعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والاصبهاني والجرجاني والستور المكللة والثياب المعينة والخمر العتابي وصنوف انواع الحرير، وكان يصنع في المرية ايضاً صنوف الات النحاس والحديد وكذلك سائر الصناعات [٣].

(١) بوتشيش: حلقات مفقودة، ص٢٧.

(٢)التعارجي، العباس: الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام،ج،ط١،(فاس،١٩٣٦)،ص ٦٣-٦٤.

(٣) الحجي، عبد الرحمن: التاريخ الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط٢،دار القلم،(دمشق، ٢٠٠٨)،ص ٤٨٩.

واشتهرت الاندلس بتصدير معدن الزئبق، وكذلك الحصى الملون المستعمل في تزيين بعض ادوات طعام الامراء والادوات الخشبية الى المغرب[١]، كما ازدهرت صناعة الورق وبخاصة الورق المعروف بالشاطبي التي اختصت مدينة شاطبة بإنتاجه [٢].

في عصر الموحدين ايضاً كان الاهتمام بالصناعة واضحا، والدليل هو كثرة الصناعات وتعددها وكثرة المعامل والمصانع واشتهار المدن المغربية والاندلسية بالصناعات ، ومن ذلك كان بفاس في عهد المنصور وولده الناصر(١١٦)معملاً لصنع الصابون و(١٢) معملاً لتسبيك الحديد والنحاس، و(١١) معملاً لصنع الزجاج، و(١٣٥) كوشة لتغيير الجير ،و(٤٠٠) حجرة لصنع الورق، و(١٧٠) فرنا للخبز[٣]، واشتهرت مدينة سبتة بصناعة الورق، وكذلك مصنع اخر في مدينة فاس ، وهذا ما تميزت به هاتان المدينتان، ووصلت صناعة الورق الذروة في هذا العصر وهو ما يفسر كثرة التأليف في جميع انواع العلوم ، وكانت هذه المعامل تنتج الورق الجيد في الوقت الذي كانت اوروبا تفتقر الى معمل واحد للورق [٤].

واقام الموحدون في الاندلس منشآت صناعية مهمة لصناعة الحرير في مدينتي المرية وجيان، وكانت الاندلس تمد المغرب بالخشب والزرع، والكثير من المنتجات الصناعية التي تنتج وتصدر، وبرع الموحدون بالاختراعات الميكانيكية، واكثر ما تجلى ذلك في الآلات الحربية المتنوعة التي كانوا ينتجونها مثل المجانيق التي تدك الاسوار والخنادق ،والاقواس البعيدة التي كانت تحمل على احد عشر بغلاً والتي اخترعها احد المهندسين البارعين في عهد الخليفة يوسف[٥]، وقد استفاد الموحدون من حروبهم الكثيرة فعملوا على تطوير صناعة اسلحتهم [٦]، منها صناعة التروس التي اشتهر اهل المغرب

(١) السامرائي: خليل ،علاقات المرابطين ،ص ٤١٢.
(٢) الهرفي :دولة المرابطين ،ص ٢٩٢.
(٣) السائح: الحضارة المغربية،ص٢١٥.
(٤) السائح: الحضارة المغربية،ص ٢١٥.
(٥) السائح: الحضارة المغربية،ص ٢١٥.
(٦) المقري :احمد نفح الطيب ،ج١ ،ص ٩٥.

بها وصنعت على الطريقة الافريقية من الجلد وكذلك سروج الخيل التي صنعت من ثلاث طبقات من الجلد واشتهروا بصناعة الزرابي الجلدية الصغيرة والوسائل(١).

ومن الصناعات التي اهتم بها الموحدون وبلغت في عصرهم شأوا عظيما هي صناعة السفن ،اذ انشأ لها معمل في مدن فاس وسلا والرباط ،وقد عززت هذه الصناعة ودعمت الاسطول المغربي، الذي ذاعت شهرته في العالم حتى اصبح اعظم اسطول يصول ويجول في حوض البحر المتوسط ،وقد ضموا البحرية المرابطية وعملوا على تطويرها بشكل يساير العصر الذي عاصروه، وكانت سفنهم على نوعين: النوع الاول: يستعمل لنقل الجند والمؤن الى السواحل الاندلسية، كما في عهد المرابطين، والنوع الثاني: يتألف من السفن البحرية الجاهزة (٢).

من الواضح ان الدولتين المرابطية والموحدية اظهرتا اهتماماً واضحاً بالصناعة والذي ظهر جلياً في الصناعات الكثيرة والمتعددة والمصانع المنتشرة في ارجاء الدولة سواء بالمغرب او الاندلس ،وكانت اغلب هذه الصناعات متشابه في العصرين، وهو ما يظهر لنا عنصر الوحدة بين الدولتين.

ثالثاً: التجارة عند المرابطين والموحدين:

كان لازدهار الزراعة والصناعة تأثير قوي على تشجيع التجارة سواء اكانت التجارة الداخلية ام الخارجية، وبخاصة بعد تحيد المغرب والاندلس في عصر الدولة المرابطية والموحدية فتنوع الانتاج الزراعي المغربي والاندلسي وانتشار الصناعات المختلفة في اقاليم الدولة، ثم وقوع الدولة كحلقة وصل بين افريقيا واوروبا وامتداد مساحتها الجغرافية في بيئات مختلفة، كل ذلك كان له اثره الواضح في قيام التجارة وتوسيعها وازدهارها حتى اثناء الحروب وذلك لتمسك التاجر المسلم بالأخلاق والمبادئ الاسلامية التي فرضها الشرع في التعامل التجاري من الامانة والصدق والوفاء بالوعود وغيرها، وفيما يلي عرض موجز عن التجارة في عصر المرابطين والموحدين وتبيان مدى اهتمام الدولتين بها.

---

(١) حسن ،حسن ابراهيم :تاريخ الاسلامي السياسي ،ج٤،ص ٣٩٩.

(٢)السلاوي ،احمد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ،ج٢،دار الكتاب،(الدار البيضاء،١٩٥٤)،ص ١٢٨.

لقد نشطت التجارة الداخلية بين مدن المغرب والاندلس ففي الجنوب كانت تخضع لسيادتهم مدينة سجلماسة واودغست وهما مفتاحان لسوق الذهب القادم من بلاد السودان، وفي الشمال كانت موانئ البحر المتوسط التي عن طريقها يتصلون بالعالم الخارجي سواء اتصالهم بالأندلس او العالم الاسلامي او اوروبا (١).

والذي سهل عملية التبادل الداخلي هو وجود شبكة من الطرق التجارية التي كانت القوافل تسلكها منذ فترات طويلة، بينما كان لتطوير البحرية المرابطية وسيطرتها على موانئ شرقي الاندلس وجزر البليار دور في تشجيع التجارة الخارجية ،وعد الاسطول المرابطي منافساً قوياً للأساطيل النورمانية والايطالية، فضلاً عن قوة الدولة التي ساهمت في حماية الطرق الداخلية والخارجية، وان ما شاع عن امراء المرابطين من امانة وعدل جعل التجار يثقون بها فجلبوا بضائعهم الى الاندلس والمغرب دون ان يخشوا ظلماً او عدواناً (٢).

ابدى خلفاء الموحدين اهتمامهم بالتجارة الداخلية والخارجية وذلك لإحداث الرواج واكثار المبيعات الداخلية، ولكي يسهل الخليفة عبد المؤمن التعامل بين شعبه ضرب الدرهم ونصفه وربعه وثمنه وحرص على رفع الضرائب المعيقة للتجارة وعمل على مراقبة التجارة برجال الحسبة لضبط الموازين، كما حرص على تامين الطرق التجارية (٣).

وقد تجلت اهم المراكز التجارية الداخلية في عصر الموحدين في الجنوب الشرقي لمدينة سجلماسة بوابة الذهب من السودان الى المغرب، ومدينة مراكش التي تقع عند منتهى الاطلس الكبير وكان يدخلها التجار من ابواب معينة لتسهل مراقبة بضائعهم، وكان لهم فنادق خاصة يجتمعون فيها ،وفي الشمال كانت مدينة فاس التي تقع عند ملتقى الطرق التي تربط بين الشمال والجنوب والشرق والغرب(٤).

---

(١) الهرفي : دولة المرابطين ،ص ٢٨٤.

(٢) الهرفي : دولة المرابطين ،٢٨٥.

(٣) حركات ،ابراهيم :المغرب عبر التاريخ ،ج١،ط١، دار الرشاد ،(الدار البيضاء _١٩٨٤)،ص ٣٣٩.

(٤) المراكشي، عبد الواحد :المعجب ،ص١٨٠.

اما التجارة الخارجية فقد نشطت في عصر الموحدين الذين اجتهدوا فوضعوا لها انظمة تضبطها ،وعقدوا من اجلها المعاهدات مع البندقية وجنوة ومرسيليا وكطلونيا وبيرة واغلب المدن الاوربية الساحلية والتي كانت مدينة سبتة وطنجة تتبادل معهم المنتوجات المختلفة ،وكما هو الحال في العصر المرابطي كانت التجارة الخارجية في عصر الموحدين مع اوروبا وافريقيا على السواء، اذ تبادلوا المنتوجات التجارية مع تونس وبجاية وقسنطينة ،كما تبادلوا مع افريقيا التي كانت قد تكونت على شكل مماليك كبيرة انتشر فيها الاسلام بفضل الرحلات التجارية(١).

ومما سبق، توضحت لنا عناصر الوحدة والتنوع بين الدولتين في اهتمام حكامهما بالتجارة والحرص على ازدهارها على الصعيدين الداخلي والخارجي، كما اتخذ ولاة الامر الاجراءات والتدابير كافة من اجل توفير الامن والدعم لتشجيع التجارة ،ثم ان الدولتين تاجرت مع اوروبا ومع افريقيا على السواء.

رابعاً: العملة عند المرابطين والموحدين:

ان قوة العملة المستعملة في اي دولة وفي اي عصر من العصور دليل على قوة اقتصاد تلك الدولة وضعف العملة وظهور الغش والتزوير فيها دليل على اضطراب الوضع الاقتصادي بغض النظر عن الاسباب المؤدية له، وهذا ما لاحظناه عند الدولة المرابطية والدولة الموحدية على السواء، فالدولة المرابطية كي تواكب تطورها الاقتصادي انشات عشرات الدور لضرب العملة في المدن الرئيسة لتوفير الكمية الكافية من النقود التي تتناسب مع حجم التبادل التجاري اهمها دار ضرب في مراكش وتلمسان وسبتة وسجلماسة وغيرها (٢).

وقد فاق وزن الدينار المرابطي الوزن الشرعي للدينار في فجر الاسلام، وكذلك الدرهم المرابطي، والسبب هو توفر معدني الذهب والفضة في مناجم المرابطين بكميات كبيرة، واحتفظت السكة المرابطية بقيمتها المرتفعة وكسب بذلك احترام دول العالمين الاسلامي والاوربي حتى كاد النقد المرابطي ان يصبح نقداً دولياً(٣).

(١)المراكشي ،عبد الواحد: وثائق المرابطين والموحدين ، ص ٢٢٩.

(٢)الهرفي: دولة المرابطين،ص٢٨٨-٢٩١.

(٣) بوتشيش: حلقات مفقودة،ص٣٠.

واستمد اقتصاد الدولتين قوته فضلاً عن الغنائم من السيطرة على طرق تجارة الذهب، وهذا ما يفسر القوة والشهرة التي حظيت بها عملة المرابطين، وعندما اصاب الدولتين الوهن والضعف وفقدت هيمنتها على الطرق التجارية اصاب الخلل تجارة الذهب نفسها[١]، ثم ان الدولة لم توظف الاموال والذهب الذي حصلت عليه في مشاريع استشارية لقرب عهدهم بالبداوة ، ولأنهم كانوا عاجزين عن الاستثمار بحكم ان عمليات التوحيد وبناء الدولة المركزية لم تكن قد انجزت بعد[٢]، وفي الوقت الذي تم فيه تأسيس الدولة وتحقيق المركزية السياسية فان المرابطين وجدوا انفسهم في مرحلة ((تحصيل ثمرات الملك))[٣]،وهذه المرحلة ترفيهية استهلاكية تستنزف فيها مداخيل الموارد الحربية(الغنائم) بسبب البذخ والتفنن في مظاهر الحضارة ،لذلك سرعان ما نضبت تلك الموارد[٤].

كما ان هذه النقود وفي اواخر عصر علي بن يوسف بن تاشفين بدأت تفقد قيمتها الشرائية بالتدريج، بسبب تعرض الدولة المرابطية لمشاكل عديدة : منها ثورات الاندلسيين، وثورات المصامدة بقيادة المهدي بن تومرت ،فضلاً عن غزوات النصارى الاسبان، الامر الذي ادى الى انعدام الامن والاستقرار واثر على الاقتصاد بكل فروعه الزراعة والصناعة والتجارة وحرم الدولة والمواطنين من الاموال الضخمة التي كانت تحصل عليها من عملية التبادل التجاري، ولجأ بعض الافراد الى استغلال هذه الاوضاع واخذوا يتلاعبون بالعملة عن طريق خلطها بالنحاس، حتى ان الدولة نفسها سكت عملة نحاسية لتسديد نفقات تجهيز الجيش ودفع مرتبات الجند عندما قل احتياطيها من الذهب الخالص [٥].

وشكلت العملة عند الموحدين ركناً مميزاً في الناحية الاقتصادية واحدى وسائل التبادل التجاري داخل البلاد وخارجها ،وكان اساس العملة الموحدية الدينار الذهبي

(١) بو تشيش: حلقات مفقودة، ص ٢٧ .

(٢) بو تشيش: حلقات مفقودة، ص ٢٩.

(٣) ابن خلدون :المقدمة ،ج٢، ص٤٩٣ .

(٤) بو تشيش: حلقات مفقودة، ص ٢٩-٣٠ .

(٥)بو تشيش: حلقات مفقودة، ص ٢٩-٣٠ .

والدرهم الفضي وربما استعمل المثقال الذي له نفس وزن الدينار، واستعملت الاوقية التي لها نفس وزن الدرهم [١].

وضرب الدينار الموحدي مدورا واضيف في وسطه شكل مربع حتى جاء الخليفة المأمون الموحدي الى السلطة ارجع النقود الموحدية المدورة وازال اسم المهدي منها ،ومن بين الدنانير التي عرفت في عصر الدولة الموحدية هي الدينار المؤمني نسبة الى الخليفة عبد المؤمن بن علي الذي امر بسبكه وحمل اسمه ، والدينار اليوسفي نسبة الى يوسف بن عبد المؤمن ، وبمجيء الخليفة المنصور الموحدي عمل على مضاعفة وزن الدينار الموحدي فكان بذلك اثره في الازدهار الاقتصادي، اذ كان يزن الدينار قبله غرامين و٣٦% من الغرام وبعد زيادة وزنه عرف بالمضعف او المضاعفة لأنه ضاعف وزنه وعرف بلغة الاسبان دوبلة ودوبلات [٢].

وعند طرح موضوع النقود او السكة والعملة يظهر لنا ان الدولتين المرابطية والموحدية قد اولتا اهتماما بالغا بالعملة في اوج قوتها ولكن بتغير الاحوال السياسية والاقتصادية في البلاد بدأت العملة بالتراجع عن قدرتها الاقتصادية وقوتها الشرائية وتبدأ عملية الغش والتزوير بها وكل هذا يتعلق او يرتبط بظروف الدولة الداخلية والخارجية ويتبعها الامن والاستقرار التي تفرضه وتوفره الدولة، وايضاً هنا تبرز لدينا عناصر الوحدة بين الدولتين.

خامساً: الضرائب عند المرابطين والموحدين:

قامت كل من الدولة المرابطية والدولة الموحدية على اسس دينية والتزمت كل منها بداية الامر بالضرائب التي اقرها الشرع الاسلامي، ولكن نتيجة لتوسع الدولة وامتدادها الى مساحات واسعة ثم العبور الى الاندلس والقيام بعمليات الجهاد ضد الممالك النصرانية، كل ذلك بدا يستنزف موارد الدولة الاقتصادية حتى غدت هذه الضرائب لا تسد

(١)الناصري ،ابو العباس احمد بن خالد ،الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري،ج٢،(الدار البيضاء ،١٩٥٤)،ص ٢٦٤ .

(٢)الزيات، عبد الله محمد حسين ،مظاهر اقتصادية في عصري المرابطين والموحدين بالأندلس والمغرب، مجلة افاق الثقافة والتراث، السنة ١٢،العدد ٤٦،(دبي ، ٢٠٠٤ م)، دائرة البحث العلمي والدراسات ،ص ١٠٥.

متطلبات الدولة، وبخاصة تسليح الجيش واعداده لمواجهة العدو، فقد تم تجنيد كل القبائل، وفتح باب التطوع، فكثرت اعداد المتطوعة[١]،واصبح المجتمع برمته مجنداً ومعبئاً لخوض الحروب، هكذا كان تاريخ الدولة المرابطية تاريخ غزو وجهاد [٢] .

وبهذا وفرت عمليات الجهاد اهم مورد يقوم عليه اقتصاد الدولة وهو الغنائم التي حصلوا عليها من الممالك النصرانية، اذ ما كاد يوسف بن تاشفين يرجع الى مراكش بعد محاربتهم حتى ((امتلأت يده بالأموال))[٣]،ومع نفاذ هذه الاموال اضطرت كل من الدولتين الى القيام بفرض المكوس والاتاوات والمصادرات لأموال الخصوم والعمال المنكوبين وغير ذلك من اجل الحصول على الاموال، وفيما يلي عرض سريع للسياسات المالية لكل من المرابطين والموحدين[٤].

فالدولة المرابطية في بدايتها اتبعت سياسة التزمت بها بالشرع وما اجازه من طرق في تحصيل الاموال فاعتمدت على(الضرائب الشرعية) منها الزكاة ،وجمعها وتحصيل الاعشار واخماس الغنائم والجزية من اهل الذمة واخماس الركاز وكلها شكلت واردات المخزن (بيت المال)،الا ان الازمة المالية تفاقمت في امارة علي بن يوسف منذ واقعة اقليش(٥٠١هـ/ ١١٠٨م)، اذ بدأ معين الغنائم ينضب فلجأ الامير الى فرض(الضرائب غير الشرعية) ولجأ ايضا الى فرض القبالات والاتاوات على مختلف الصنائع والسلع، وكذلك تحصيل الاموال من اليهود[٥].

والحال نفسه تكرر مع الدولة الموحدية فنلاحظ انها بداية قيامها هاجمت المرابطين على فرضهم الضرائب واتهمتهم انهم احدثوا المغارم وفرضوا المكوس واكلوا السحت الحرام وفرضوا على الناس مالم يوجبه الشرع ،وكان الخليفة عبد المؤمن بن علي بعد ان بسط

(١)القطان، ابن المراكشي :نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق :محمود علي مكي ،ط١،المطبعة المهدية ،(تطوان ،د.ت)ص١٣.

(٢)عبد البديع ،لطفي :الاسلام في اسبانيا،ط١ ،(القاهرة،١٩٥٨م)،ص١٢ .

(٣)النويري: نهاية الارب ،ج٢٤،ص٢٦٢ .

(٤)عنان :عصر المرابطين والموحدين ، ص٦٢٦.

(٥) السامرائي: المؤسسات ،ص ٤٥٣.

نفوذه على مراكش يشدد على قطع كل هذه البدع المستحدثة ويحرص على ان لا يحيد عن تطبيق المبدأ في الغاء المغارم المحرمة والاكتفاء بتحصيل الزكاة والاعشار[١].

الا ان اتساع نطاق مسؤوليات الدولة المدنية والعسكرية في المغرب والاندلس لم يعد الاقتصار على القروض الشرعية يفي نفقات الدولة ونفقات الجيوش الموحدية الضخمة هنا اضطرت الدولة الموحدية للبحث عن وجوه اخرى لتحقيق الجباية وتوفير النفقات فكان ان فرضت الخراج على الاراضي الصالحة للزراع والزمت كل قبيلة ان تؤدي قسطها من الزرع والمال ،فضلاً عن تحصيل الغنائم من الفتوحات ومصادرة اموال الخصوم ومن يلحق بهم من العمال المنكوبين ولم تحجم عن فرض ضرائب اخرى مختلفة وتحصيل المكوس على مختلف المعاملات من البيع والشراء والصادر والوارد، فضلاً عن ما استولت عليه من اموال النصارى واليهود[٢] .

وكان اقتصاد الدولتين يستمد قوته من الحصول على الغنائم ومن السيطرة على طرق تجارة الذهب، وهذا يفسر القوة والشهرة التي تمتعت بها العملة المرابطية والموحدية، وعندما اصاب الدولتين الضعف والوهن، وفقدت هيمنتها على الطرق التجارية أصاب الخلل تجارة الذهب نفسها، وكان ابن خلدون قد ربط بين قلة الموارد في المرحلة الأخيرة من عمر الدولة وحاجة الدولة الى فرض الضرائب لتحقيق التوازن، وتغطية نفقاتها من ابهة وترف وانفاق على الجند[٣].

ومن الحلول الاخرى التي لجأت اليها الدولتان(مصادرة الاقطاعات) وهي الاموال التي يتم جمعها عن طريق الغنائم والضرائب ويعمل الحاكم على اقطاعها لرجال الدولة والحاشية والقادة والولاة، الا انه يعود الى انتزاعها ومصادرتها منهم في اوقات حاجته الى الاموال للقيام بعمليات الجهاد ،هنا يبحث عن اي خطأ أو زلة يقعون فيها لتنفيذ تلك المصادرات وانتزاع الاقطاعات منهم وضمها الى خزينة الدولة[٤]،وكانت المصادرة تشمل

(١) السامرائي: المؤسسات ،ص ٤٥٣.

(٢) عنان :عصر المرابطين والموحدين ،ج٢،ص ٦٢٥-٦٢٦.

(٣) المقدمة،ج٢ ص٦٦٧.٦٧٠.

(٤)بو تشيش :حلقات مفقودة، ص٢٦.

الشخص المصادر وحاشيته واتباعه وجاء في ترجمة ابن ابي ليلى أن الامير المرابطي علي بن يوسف استصفى أمواله واموال حاشيته جميعاً[١]، وهذا ما دفع بالشاعر حبلاص الرندي الذي عاش في عصر المرابطين الى التعبير عن هذه المصادرات ببيت شعري قال فيه :

لا تفرحـــن بـــولاية سوغتها فالثور يُعلفُ أشهرا كي يُذبحا[٢].

ظهر لنا مما سبق عناصر الوحدة بين المرابطين والموحدين في اعتمادهم الاساليب الشرعية بفرض الضرائب ثم بدأت الدولة تستحدث المكوس والاتاوات وغير ذلك من اجل توفير واردات تسد نفقات الدولة.

الخاتمة ونتائج البحث:

بعد الانتهاء من انجاز هذا البحث يمكن لنا ان نوجز اهم النتائج التي توصل اليها، وهي كما يلي:

– ان كل من الدولة المرابطية والدولة الموحدية قامت على اسس دينية وعلى يد داعية استطاع ان يؤسس الدولة على انها دولة دينية تقوم على مبدأ الانتخاب والشورى ،ثم تتحول الدولة بعد ذلك الى ملك سياسي يعتمد على الوراثة في الحكم وينحصر الحكم في عائلة واحدة الى نهاية الدولة ، وكان التشابه كبيراً في انظمة الحكم والادارة والتي

(١) ابن الآبار ابو عبد الله محمد بن عبد الله :المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، نشر: فرانسيسكو كوديرا، (مدريد،١٨٨٥م)،ص٥٦.

(٢) وهو شاعر برندة لا يؤبه به لاختلال عقله ،وكان ساقط الهمة لا يتعدى صلة الدرهم والدرهمين الى ان حل برندة احد رؤساء الملثمين فمدحه بقصيدة وقع له فيها مطلعها

ولو لم تكن كالبدر نورا ورفعة ..لما كنت عزا بالسحاب ملثما

فاعجبه هذا وامر له بكسوة وعشرة دنانير فهرب حبلاص حين حصل ذلك في يده من يومه ،فقيل له بعد ذلك لما فررت بالكسوة والذهب وما ذاك الا دليل الخير ومبشرا لما بعده فقال والله ما رأيت قط في يدي دينارا واحدا وما حسبت ان في الدنيا من يعطي هذا العدد . المقري :نفح الطيب، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت،١٩٩٦ م)، ص١٢٣.

استمدوها من الدولة العباسية التي نشأت هذه الدول في ظلها، ولم تختلف اجهزة الحكم والادارة اختلافاً بيناً.

– قامت دولة المرابطين على اسس العقيدة الدينية، وقامت دولة الموحدين على مبدأ الامامية والمهدي المنتظر، والذي ينسب الى ال البيت، اذ اعتمد منهجه(أي منهج ابن تومرت)الاصلاحي على مرجعية وضعها بنفسه، وصاغ لاتباعه افكارا ومبادئ في العقيدة والشرعية والعبادة .

– كان قيام الدولتين على اسس قبلية بدوية، الا انها بعد اختلاطها بالأندلس وتوسعها بدأت بالتحضر والاقتباس من الاندلس سواء بالإدارة ،او الحكم او الاقتصاد والبناء وكل مجالات التحضر والتطور .

– اتخذ ولاة الامر عند المرابطين لقب الامير، وبعد انتصار يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة اتخذ لقب امير المسلمين ،اما ولاة الامر عند الموحدين فقد اتخذوا لقب الخلفاء وابناءهم لقب السادة بعد وفاة المهدي محمد بن تومرت مؤسس الدولة.

– اتضحت لنا عناصر الوحدة بين دولة المرابطين ودولة الموحدين في السياق الاداري وبكل وظائفه ومناصبه ابتداءً من منصب الوزير في الدولة وكيف ابتدأت الوزارة وتطورها وانواع الوزراء ومراسيم اختيار الوزراء.

– اعتمدت الدولتان على الكتاب لمساعدتهم في تسجيل المكاتبات الخاصة بين ولاة الامر وعمال الدولة وقوادها وكبار موظفيها.

– ومن عناصر الوحدة ايضاً بين الدولتين اتخاذ الحجاب لولاة الامر، و كان اختيارهم من ابناء الاسرة الحاكمة نفسها.

– اما الولاة فعند الدولتين كان اعتماد ولاة الامر على الولاة من الاسرة الحاكمة .

– وفيما يخص القضاة فان الدولتين وبحكم قيامهما على اسس دينية فقد اولتا اهتماماً في اختيار القضاة في العاصمة وفي الاقاليم .

– بحكم الاسس الدينية التي قامت عليها كل من الدولتين كان الاهتمام بمنصب المحتسب، لاسيما وانها اتخذت من مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر شعاراً لها، وهو اساس الحسبة.

– وكان لوظيفة الشرطة ومنصب صاحب الشرطة اهميته الخاصة، اذ كان للأكابر من رجالات الدولة وايضاً يعود السبب الى نشأة الدولتين الدينية والتي راعت الاصول والآداب العامة.

– من الواضح ان عناصر الوحدة والتشابه هي الوحيدة السائدة في البحث فيما يتعلق بالسياق الاقتصادي، فلا نكاد نرى اي تنوع او اختلاف في اي حقل او مجال، فالزراعة عند المرابطين والموحدين تكاد تكون متطابقة، والسبب هو ان الرقعة الجغرافية التي حكمتها الدولتان هي واحدة ولان البلاد اراضيها زراعية مع وفرة مصادر المياه ،والمناخ الملائم وتشجيع السلطات الحاكمة على استصلاح الاراضي، لهذا كان وحدة في الانتاج الزراعي لان الدولتين راعتا الزراعة ومشاريع الري.

– اما في المجال الصناعي فقد اعتمدت الدولتان على ما تنتجه الارض من محاصيل صناعية الى استغلال المعادن الموجودة في ارجاء المعمورة والقيام بتصنيعها بما يتلاءم مع متطلبات الحضارة والعصر سواء اكانت صناعات (مدنية ام عسكرية) وكان الدعم والتشجيع من لدن الدولتين للصناعة على السواء، وهكذا تطورت الصناعات والحرف في الدولتين بفضل توفر المواد الاولية بمختلف انواعها النباتية والمعدنية والثروة الحيوانية، مع وجود الايدي العاملة .

– وفيما يخص التجارة فكان اهتمام الدولتين بها كبيراً سواءً اكانت التجارة الداخلية ام الخارجية، فالتجارة الداخلية كانت بين اجزاء الدولة كلها داخل المغرب والاندلس والخارجية بين افريقيا والمغرب والاندلس واوروبا، وتطورت التجارة كثيراً بسبب توفير الدولة الامن والحماية للتجارة والتجار وكله يصب في مصلحة الدولة، واصبح للدولتين الموانئ والمراكز التجارية والاسواق، مع توفر الذهب والفضة، واعتمدت على الطرق البرية والبحرية ،مما انتج تنوع وسائل التعامل التجاري ،واتساع عمليات البيع والشراء وتبادل المنتجات.

– وكان لسك النقود اهتمام كبير من الدولتين، ولاسيما ايام الرخاء فقد سكت الدولتان الدنانير الذهبية ذات الوزن الكبير وكذلك الدراهم الفضية الممتازة مما زاد من نمو التداول النقدي ،اما في حالات الضعف والفوضى فتدهورت العملة حتى سكت العملة النحاسية بدل الذهب لتجهيز الجيش ورواتب الجند ،ولتأمين مواردهما المالية اعتمدت كلا الدولتين

في بداية تأسيسهما وبحكم نشأتهما الدينية على الضرائب الشرعية، وبعد ان ازدادت حاجة الدولة الى الاموال بسبب الحروب الكثيرة وحاجتها الى تجهيز الجيش ورواتب الجند بدأت تفرض المكوس والاتاوات وغير ذلك وسكت العملة النحاسية بدلا من الذهب، فضلاً عن اضطراب الوضع الداخلي بسبب ظهور قوى جديدة ،فمثلاً في زمن المرابطين كان لظهور الموحدين واثارتهم المشاكل والتحريض بالثورة عليهم ، كذلك فعل المرينيون مع الموحدين الى ان اسقطت كل دولة التي سبقتها وقامت على انقاضها.

– في مجال تطبيق النظريات التي تقول بتأثير الجغرافية على التاريخ ،اتضح لنا في ثنايا البحث ان دولتي(المرابطين والموحدين) كانت كل منهما قد نشأت في ظروف متشابهة في مساحة جغرافية واحدة، فكانت مسيرة احداثهما التاريخية تقريباً متطابقة، وهنا اتضحت لنا عناصر الوحدة التي جمعت بينهما.

Almorabton and Almohedon
Study on the elements of unity and administrative and economic diversity

Lect. Dr.Salma Mhmood Muhmeed

Abstract

Historical studies have devoted great attention to the study of the political history of the Islamic countries and the emirates in the Islamic countries. However, the study of the cultural data of these countries and the UAE and the statement of the elements of unity and diversity among them still need more efforts by researchers to show the cultural effort in which these countries and the UAE In the construction of Islamic civilization and then the global civilization and humanity in general.